أساس منهج الشفقة والتعاون عند النورسي

د. فيروز عثمان صالح (*)

ملخص الدراسة

إن هذه الدراسة تؤكد اهتمام النورسي – رحمه الله بكل ما مِن شأنه أن يقوي البعد المعنوي والروحي لحياة الإنسان، والتي حاول فيها صياغة دساتير للحياة الاجتماعية من خلال مبدأي الشفقة والتعاون.

ويتضح من خلال الدراسة أن النورسي – رحمه الله – قد أولى هذين الأساسين اهتماماً بالغاً، فالدعوة إلى الشفقة والتعاون هي حقيقة من حقائق (رسائل النور)، بل هي من أسطع وألمع حقائقها، وقد نفّر – رحمه الله – وحذّر في ذات الوقت من العزلة والاستغناء عن الآخرين، والجدال والخصومة والبغض، وكل ما من شأنه أن يوهن عرى الحياة الاجتماعية ويضعف الأبعاد المعنوية في حياة الإنسان . وكان مركز استناده ونقطة استمداده في كل ذلك القرآن الكريم والسنة المطهرة .

الدراسة :-

الشفقة والتعاون من آثار رحمة الله تعالى :-

تعد الشفقة والتعاون من المبادئ الأساسية التي تضمنتها رسائل النور، وذلك لإدراك الأستاذ النورسي لمكانهما في الحياة الدينية والدنيوية .

فالشفقة أو الرحمة من أسمى المعاني، فقد اختارها الله تعالى صفة ملازمة لذاته جل وعلا .. ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (غافر: ٧). فالشفقة أو الرحمة معناها أن يكون الإنسان رقيقاً، يسعى

(*) الأستاذ المشارك بجامعة الخرطوم، كلية الآداب – قسم الدراسات الإسلامية – السودان.

لإزالة آلام الخلق، فهي عاطفة حية نابضة بالحب والرأفة، ونجد أنّ كثيراً من أسماء الله الحسنى ينبع من معاني الرحمة والعفو والفضل والكرم، فالله تعالى هو أفضل الرحماء، قال تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (المؤمنون: ١١٨).

ويرى الأستاذ النورسي أنّ الشفقة كالعشق موصل إلى الله إلا أنه أنفذ منه في السير وأوسع منه، إذ هو يوصل إلى اسم الله (الرحيم)[١]. ويؤكد أن (الشفقة هي ألطف تجليات الرحمة الإلهية وأجملها وأطيبها وأحلاها)[٢].

فكل ما نراه على وجه الأرض من مودة وتعاطف وتعاون، هو من آثار رحمة الله، التي أودعها الله في قلوب الخلائق، وجعلتهم يتراحمون، ويتعاطفون فيما بينهم، والإسلام حذرنا من الغلظة وقسوة القلب[٣]، فكما جاء في الحديث (إنّ أبعد الناس من الله تعالى القاسي القلب)[٤].

فالإسلام أمر بالتراحم وجعله من علامات كمال الإيمان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لن تؤمنوا حتى تراحموا) قالوا: يا رسول الله كلنا رحيم. قال (إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة)[٥].

إنها الرحمة العامة الشاملة، رحمة الناس عامة يفجّرها الإسلام في قلب الفرد المسلم، ليغدو مجتمع المسلمين متراحماً يموج بالمحبة الصادقة، والنصيحة الخالصة، والتعاطف العميق والتعاون المثمر.[٦]

---

(١) بديع الزمان النورسي، كليات رسائل النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، استانبول، الكلمات . جـ١ ص٥٥٨ .

(٢) النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات . جـ٢ ص٩٩

(٣) عادل العوضي وفائزة العوضي، جواهر الأخلاق والآداب الإسلامية، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦ . ص٢٨٢

(٤) أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت . جـ٤ ص٦٠٧ رقم (٢٤١١)

(٥) الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ . جـ٤ ص١٨٥

(٦) محمد علي الهاشمي، شخصية المسلم، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ، ص١٨٢

لذلك فالأستاذ النورسي قد أكّد أن الشفقة من الأسس والمبادئ الكفيلة (بإنقاذ الحياة الاجتماعية لأبنائها من الفوضى والانقسام)[١] فهي السبيل للتراحم والتعاون.

النورسي يجعل من التعاون دستوراً للحياة :-

إن نتيجة الإيمان بالله في نفس الإنسان المؤمن هي أن يكون باستمرار في وضع يتيح له أن يعاون غيره وإن لم يطلب منه المعاونة، وأن يكون درعاً لغيره بغية يقيه الشر والإيذاء، وإن لم يعلم هذا الغير بما عزم عليه أو بما قدمه في هذا السبيل.[٢]

لذلك فإن الأستاذ النورسي يلفت أنظار طلاب النور وخدّام القرآن إلى التعاون وينفّر من الجدال المؤدي للتناحر بل يجعل من التعاون دستوراً للحياة ويقيم الأدلة على ذلك يقول رحمه الله (إنّ مما يدل على أن دستور الحياة هو التعاون دون الجدال؛ ... عدم مقاومة التراب الصلب ولا الحجر الصلد لسيران لطائف رقائق عروق النباتات اللينة اللطيفة، بل يشق الحجر القاسي بتماس حرير أصابع بنات النبات، ويفتح التراب صدره المصمت لسريان رائد النباتات ... نعم، تجاوب أعضاء الكائنات بشمسها وقمرها لمنفعة الحيوان، وتسابق مواد الأغذية لترزيق الثمرات، وتزين الثمرات لجلب أنظار المرتزقات، وتعاون الذرات في الإمداد لغذاء حجيرات البدن، دليل قاطع ساطع على أنّ الدستور العام هو التعاون)[٣].

أصاب الأستاذ النورسي من جعل الشفقة والتعاون من المبادئ والدساتير الأساسية للحياة (فمن حق الأخوة أن يشعر المسلم بأنّ إخوانه ظهير له في السراء والضراء، وأنّ قوته لا تتحرك في الحياة وحدها، بل إن قوى المؤمنين تساندها وتشد أزرها[٤]. يقول النبي صلى الله عليه وسلم (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)[٥].

إن المسلم الذي ارتوت نفسه من معين الإسلام الطهور، حريص كل الحرص على نفع الناس في مجتمعه ورفع الأذى عنهم، ذلك أنّه بحكم تكوينه وتنشئته على مبادئ

---

(١) النورسي، كليات رسائل النور، السيرة الذاتية . جـ٩ ص٣٩١ .

(٢) محمد البهي، الإسلام في حياة المسلم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٩٩٥م . ص٨٨

(٣) النورسي، كليات رسائل النور، المثنوي العربي النوري . جـ٦ ص٣٤٩-٣٥٠

(٤) محمد الغزالي، خلق المسلم، دار الدعوة، الإسكندرية، ط٣، ١٩٩٠م . ص١٧٦

(٥) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، عالم الكتب، بيروت، ط٥، ١٩٨٦م، كتاب المظالم. جـ٢ ص٨٦٣ رقم (٢٣١٣)

الحق والخير والفضيلة غدا عنصراً فعّالاً نافعاً، فهو يعلم أنّ فعل الخير يؤدي إلى الفلاح لقوله تعالى ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج: ٧٧).

إنّ كل رابطة توطد هذا التعارف والتعاون هي رابطة يجب تدعيمها، والانتفاع بخصائصها، وليس الإسلام رابطة تجمع بين عدد قلّ أو كثر من الناس فحسب، ولكنه جملة الحقائق التي تقرر الأوضاع الصحيحة بين الناس وربهم، ثم بين الناس أجمعين.[١]

وسائل معينة على التعاون والشفقة والتراحم :-

الصوم يولّد الشفقة التي تفضي إلى الإحسان والتعاون :-

من الوسائل التي أشار النورسي – رحمه الله – إليها في رسائل النور والتي تحقق رابطة الشفقة والتعاون (الصوم) . إذ أنّ إحساس الجوع يولّد الرأفة والشفقة والذي يفضي إلى الإحسان الذي يتطلبه التعاون، يقول رحمه الله في كتابه المكتوبات (إن الناس قد خلقوا على صور متباينة من حيث المعيشة، وعليه يدعو الله سبحانه الأغنياء لمدّ يد المعاونة لإخوانهم الفقراء. ولا جرم أن الأغنياء لا يستطيعون أن يستشعروا شعوراً كاملاً حالات الفقر الباعثة على الرأفة، ولا يمكنهم أن يحسوا إحساساً تاماً بجوعهم، إلاّ من خلال الجوع المتولد من الصوم، ... فلم لم يكن هناك اضطرار لإذاقة النفس مرارة الجوع، لما قام أحد أصلاً بإسداء الإحسان إلى الآخرين والذي يتطلبه (التعاون) المكلّف به برابطة (الشفقة) على بني الجنس، وحتى لو قام به لما أتقنه على الوجه الأكمل، ذلك لأنه لا يشعر بتلك الحالة في نفسه شعوراً حقيقياً)[٢].

الزكاة وسيلة التعاون بين المسلمين :-

وكذلك بيّن الأستاذ النورسي أنّ من وسائل تحقيق قيم التعاون والشفقة في المجتمع الإنساني أداء فريضة الزكاة. يقول مبيناً ذلك في المكتوبات (إنّ أهمية الزكاة لا تنحصر في أشخاص وجماعات معينة فقط، بل أنها ركن مهم في بناء سعادة الحياة البشرية ورفاهها جميعاً، بل هي عمود أصيل تتوطد به إدامة الحياة الحقيقية للإنسانية، ذلك لأن في البشرية طبقتين: الخواص والعوام. والزكاة تؤمّن (الرحمة والإحسان) من الخواص تجاه العوام، وتضمن الاحترام والطاعة من العوام تجاه الخواص)[٣].

---

(١) محمد الغزالي، خلق المسلم. ص١٧٣

(٢) النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات . جـ٢ ص٥١٥

(٣) المرجع نفسه . جـ٢ ص٣٥٥

لذلك نجد النورسي – رحمه الله – في مواضع عديدة من رسائل النور يحذر من الحرص والبخل ويبين ضرره على الحياة الإسلامية فنجده على سبيل المثال يقول (إنّ الحرص داء كالعداء بل هو أضر على الحياة الإسلامية وأدهى عليها. نعم، الحرص بذاته سبب الخيبة والخذلان، وداء وبيل ومهانة وذلة، وهو الذي يجلب الحرمان والمهانة)[١].

لقد أصاب النورسي رحمه الله في التحذير من عواقب الشح والحرص الاجتماعية فالشح مهلكة ومدعاة إلى القتل والنهب والسلب، فبسبب منع الزكاة والعطف والشفقة على المحتاجين ربما زجت بهم الفاقة إذا لم يكن يردعهم الوازع الديني إلى السلب والنهب والقتل، وبغض ذوي الأموال، وقد حذرنا المصطفى صلى الله عليه وسلم منه وبيّن مضاره على المجتمع فقال عليه الصلاة والسلام (... واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)[٢] .

ويؤكد النورسي – رحمه الله – إن الزكاة وسيلة التعاون بين المسلمين وأنها قنطرة الإسلام إذ يقول في إشارات الإعجاز (الزكاة قنطرة الإسلام وبها التعاون بين أهله ... ثم إنّ في الحديث الصحيح (الزكاة قنطرة الإسلام)[٣] أي : الزكاة جسر يغيث المسلم أخاه المسلم بالعبور عليها، إذ هي الواسطة للتعاون المأمور به، بل هي الصراط في نظام الهيئة الاجتماعية لنوع البشر وهي الرابطة لجريان مادة الحياة بينهم، بل هي الترياق للسموم الواقعة في ترقيات البشر .[٤]

إن المجتمع في الإسلام مجتمع معنوي، بمعنى أن العلاقات الاجتماعية فيه تبنى على الروابط من تواد وتراحم لا على أساس العلاقات المادية فقط .[٥]

---

(١) النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات. جـ٢ ص٣٥١ – لمزيد من التفصيل انظر المرجع نفسه ص٣٥١-٣٥٨، وكذلك انظر، اللمعات. جـ٣ ص٢٢٠-٢٢٣. كذلك إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز . جـ٥ ص٥٤-٥٥

(٢) مسلم، صحيح مسلم. جـ٤ ص١٩٩٦ رقم ٥٦

(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد. جـ٣ ص٦٢ . وقال رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله موثوقون إلاّ بقيّة مدلس وهو ثقة

(٤) النورسي، كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز. جـ٥ ص٥٣-٥٤

(٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط١٧، ١٩٩٢. جـ١ ص١٥٩ . انظر أيضاً أنواع البر في الإسلام (الصلة والمعروف) في: الماوردي، أدب الدنيا والدين، دار الريان، القاهرة، ص٢٢٥

لذلك فإن النورسي قد جعل من شروط وقوع الصدقة في موقعها اللائق : (أن لا يقتصر على المال، بل بالعلم والفكر والفعل أيضاً)[١].

لقد وسّع النورسي رحمه الله بذلك دائرة التعاون فلم يقصر التعاون على التعاون المادي بل لا بد من التعاون الروحي والفكري والمعنوي، وما ذلك إلا لأنه يدرك (أن المواهب الإنسانية النفيسة مختلفة ومتكاثرة، وقلما تجتمع في رجل واحد، بل أنها توجد موزّعة بين الفئات الكثيرة من الناس، فإذا تكونت إحدى الجماعات، وأحسن أعضاؤها التعاون فيما بينهم، كان كل منهم مكملاً لنقص الآخر، وكانت كل موهبة سناداً لأختها المغايرة لها، فكانت الجماعة منتجة موفقة).[٢]

لذلك فإن النورسي يؤكد أن الإنسان مدني واجتماعي بطبعه، فبالتعاون وتقسيم الأعمال يحصل على قوته وكسائه وسائر احتياجاته يقول – رحمه الله – في (صيقل الإسلام) (من كانت همتُه نفسه فليس من الإنسان لأنه مدني بالطبع، فهو مضطر لأن يراعي أبناء جنسه، فإن حياته الشخصية يمكن أن تستمر بحياته الاجتماعية. فمثلاً : إنّ الذي يأكل رغيفاً عليه أن يفكّر كم يحتاج إلى الأيدي التي تحضر له ذلك الرغيف، فهو يُقَبِّل تلك الأيدي معنى.

وكذا الثوب الذي يلبسه، كم من الأيدي والآلات والأجهزة تضافرت لتهيئته وتجهيزه، وقيسوا على منوال المثالين لتعلموا أنّ الإنسان مفطور على الارتباط بأبناء جنسه من الناس لعدم تمكنه من العيش بمفرده وهو مضطر إلى أن يعطي لهم ثمناً معنوياً لدفع احتياجاته، لذا فهو مدني فطرة) [٣].

المرض يولد الشفقة والرحمة والتعاون تجاه أهل البلايا :-

يؤكد الأستاذ النورسي أن المرض من الوسائل المعينة على جلب المحبة والرحمة والشفقة والتعاون لصاحبه تجاه المرضى وأهل البلايا عامة مؤدياً بذلة سنّة مشروعة. إذ يقول في رسالة المرضى من كتابه اللمعات (إنّ المرض يُلقّن صاحبه أهم عرى الحياة الاجتماعية والإنسانية وأجمل أواصرها وهما الاحترام والمحبة، لأنّه ينقذ الإنسان من الاستغناء عن الآخرين، ذلك الاستغناء الذي يسوق إلى الوحشة ويجرد الإنسان من

(١) النورسي، كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز . جـ٥ ص٥٣

(٢) محمد الغزالي، تأملات في الدنيا، دار التوفيق النموذجية، القاهرة، ط٤، ١٩٨٤م. ص١٩١

(٣) النورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام . جـ٨ ص٥١٣

الرحمة ... ولكن متى ما انتاب الإنسان المرض وأدرك مدى عجزه، ومدى فقره، تحت ضغوط المرض وآلامه وأثقاله فإنه يشعر بالاحترام بأشقائه المؤمنين اللائقين بالاحترام الذين يقومون برعايته، أو الذين يأتون لعيادته، ويشعر كذلك بالرأفة الإنسانية وهي خصلة إسلامية تجاه أهل المصائب والبلايا – قياسا على نفسه – فتفيض من قلبه الرحمة والرأفة بكل معناهما تجاههم، وتضطرم عند الشفقة حارة إزاءهم، وإذا استطاع قدّم لهم يد العون، وإن لم يقدر عليه شرع بالدعاء لهم، أو بزيارتهم والاستفسار عن راحتهم وأحوالهم مؤدياً بذلك سنةً مشروعة كاسباً ثوابها العظيم)[١].

أنواع خاصة من الشفقة والتعاون ينبّه إليها النورسي :-

بالإضافة إلى الشفقة العامة التي تسع الإنسانية كلها نبّه النورسي – رحمه الله – إلى أنواع خاصة من الشفقة يأتي في مقدمتها شفقة الوالدين تجاه الأبناء وتقدير الأبناء لهذه الشفقة ورعايتهم لحقوق آبائهم يقول في اللمعات (إن الحقيقة التي تستحق احتراماً أكثر ومكانة أسمى في الحياة الاجتماعية هي شفقة الوالدين وتعويض الأبناء الطيبين لتلك الشفقة بتوجيه الاحترام اللائق والعاطفة البارة الزكية إليهما)[٢]، ويقول في المكتوبات (إن أسمى حقيقة في الدنيا هي شفقة الأمهات والآباء حيال أولادهم، وإنّ أعلى الحقوق كذلك هو حق احترامهم مقابل تلك الشفقة والرأفة، ذلك لأنهم يضحّون بحياتهم فدىً لحياة أولادهم بكل لذة وسعادة)[٣] ويوسع دائرة الوالدين مؤكداً أن العم والعمة هما في حكم الأب، وإن الخالة والخال في حكم الأم منبّهاً إلى أن الشيوخ من الأقارب هم عمود بركة البيت ووسيلة الرحمة فيه ودفع المصيبة عنه.[٤]

وقد كان النورسي – رحمه الله – في ذلك مُتبعاً للقرآن والسنة، فقد صدّر المكتوب الحادي والعشرون الذي خصصه للحديث عن رعاية الآباء والشيوخ بقوله تعالى ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ

(١) النورسي، كليات رسائل النور، اللمعات . جـ٣ ص٣٢٩

(٢) المرجع نفسه . جـ٣ ص٣٣٠

(٣) المرجع نفسه، المكتوبات . جـ٢ ص٣٣٥

(٤) انظر تفصيل ذلك في المرجع نفسه . جـ٢ ص٣٣٥-٣٣٨

مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً * رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً﴾ (الإسراء : ٢٣-٢٥).

وكذلك إتباعاً للقرآن والسنة فقد لفت النورسي النظر إلى أهل البلاء والمرضى داعياً إلى الشفقة عليهم وتقديم العون لهم، بل خصص (اللمعة الخامسة والعشرون) من كتابه اللمعات لتقرير هذه الحقيقة.(١)

وكذلك خصص النورسي رحمه الله الشيوخ برسالة أكّد أنّها نابعة من القرآن الكريم ووجه فيها إلى ضرورة الاهتمام بالشيوخ والعجائز ورعايتهم والرأفة بهم وتقديم العون لهم.(٢)

وكذلك فإن الشفقة بالحيوان والرأفة به هي حقيقة من حقائق رسائل النور وهو في ذلك منقاد لنصوص الشرع، وإن كانت (عذبت امرأة في هرة أوثقتها، فلم تطعمها، ولم تسقها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض)(٣) كما أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم فإن النورسي رحمه الله يرى أنّ القطط هي حيوانات تستحق حسن الاستقبال والضيافة والصحبة. يقول رحمه الله (بعض المخلوقات التي وهبت (لمصاحبة الإنسان وصداقته) كأمثال القطط، فإنّ أرزاقها ترسل ضمن رزق الإنسان، وتأتي بصورة بركة ... كانت لي حصة من الغذاء كل يوم ... وهي نصف رغيف، وكثيراً ما كان لا يكفيني ... ثم جاءني أربع قطط ضيوفاً، وقد كفاني ذلك الغذاء وكفاهم بل غالباً كانت تبقى منه فضلة وزيادة)(٤).

وأخبار شفقته ورأفته بالحيوانات والطيور بل حتى الذباب فضلاً عن الشجر والحجر وكافة المخلوقات ثابتة لكل متصفح ومطّلع على سيرته رحمه الله .(٥)

---

(١) النورسي، كليات رسائل النور، اللمعات . جـ٣ ص٣١٥-٣٣٩

(٢) انظر تفصيل ذلك في المرجع نفسه . جـ٣ ص٣٤٠-٤٠٩

(٣) يحيى بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث، قطر، ط٢، ١٩٧٢م . جـ٤ ص٢٠٢٢ برقم (٢٩١٩)

(٤) النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات . جـ٢ ص٣٣٦-٣٣٧

(٥) لمزيد من الشواهد والتفصيل أنظر: النورسي، كليات رسائل النور، السيرة الذاتية. جـ٩ ص٥٣٤، وكذلك أنظر أ.د صادق قليج، المؤتمر العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي، استانبول، ١٩٩٨م. ص٧٩٧ ملخصا

التعارف والتعاون هو أساس العلاقات الاجتماعية :-

يؤكد النورسي رحمه الله أن أساس العلاقات الاجتماعية بين الطوائف والقبائل والشعوب المختلفة هو التعارف والتعاون. ينطلق في ذلك من قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: ٣) إذ يقول معقباً على الآية الكريمة (أي خلقناكم طوائف وقبائل وأمماً وشعوباً كي يعرف بعضكم بعضاً وتتعرفوا على علاقاتكم الاجتماعية، لتتعارفوا فيما بينكم، ولم نجعلكم قبائل وطوائف لتتناكروا فتتخاصموا) .[١]

ويضيف موضحاً (نقول بياناً لدستور التعارف والتعاون الذي تشير إليه هذه الآية الكريمة إنه: يقسّم الجيش إلى فيالق وإلى فرق وإلى ألوية وإلى أفواج وإلى سرايا وإلى فصائل وإلى حظائر، وذلك ليعرف كل جندي واجباته حسب تلك العلاقات المختلفة المتعددة، وليؤدي أفراد ذلك الجيش تحت دستور التعاون وظيفة حقيقية عامة لتصان حياتهم الاجتماعية من هجوم الأعداء ... وكذلك الأمر في المجتمع الإسلامي الشبيه بالجيش العظيم، فقد قُسّم إلى قبائل وطوائف، مع أن لهم ألف جهة وجهة من جهات الوحدة، إذ خالقهم واحد، ورازقهم واحد، ورسولهم واحد، وقبلتهم واحدة، وكتابهم واحد ... إلى الألوف من جهات الوحدة التي تقتضي الأخوة والمحبة والوحدة . بمعنى أنّ الانقسام إلى طوائف وقبائل – كما تعلنه الآية الكريمة – ما هو إلا للتعارف والتعاون لا للتناكر والتخاصم).[٢]

رسائل النور تؤكد أنّ في الاتحاد والتساند قوة :-

في مواضع عديدة من رسائل النور يدعو النورسي – رحمه الله – خُدام القرآن وطلاب رسائل النور إلى التعاون والتساند والاتحاد مؤكداً أنّ ذلك يحقق الإخلاص ومن ثم القوة المعنوية، يقول رحمه الله في اللمعات (فيا طلاب رسائل النور ويا خدام القرآن ! نحن جميعاً أجزاء وأعضاء في شخصية معنوية جديرة بأن يطلق عليها: الإنسان الكامل ... نحن إذن بحاجة ماسة بل مضطرون إلى الاتحاد والتساند التام وإلى الفوز بسر (الإخلاص) الذي يهيئ قوة معنوية بمقدار ألف ومائة وأحد عشر (١١١١) ناتجة من أربعة أفراد. نعم ... إن لم تتحد ثلاث (ألفات) فستبقى قيمتها ثلاثاً فقط، أما إذا

---

(١) النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات . جـ٢ ص٤١٣

(٢) المرجع نفسه . جـ٢ ص٤١٣-٤١٤

اتحدت وتساندت بسر العددية، فإنها تكسب قيمة مائة وأحد عشر (١١١)، ... هناك شواهد ووقائع تاريخية كثيرة جداً أثبتت أن ستة عشر شخصاً من المتآخين المتحدين المضحين بسر الإخلاص التام تزيد قوتهم المعنوية وقيمتهم على أربعة آلاف شخص).[١]

ويبيّن أنّ السر في تلك القوة هو أن التعاون يؤدي لتساند المواهب وإكمال النقص (أما حكمة هذا السر فهي: أنّ كل فرد من عشرة أشخاص متفقين حقيقة يمكنه أن يرى بعيون سائر إخوانه ويسمع بآذانهم. أي أن كلاً منهم يكون له من القوة المعنوية والقيمة ما كأنه ينظر بعشرين عينا ويفكر بعشرة عقول ويسمع بعشرين أذناً ويعمل بعشرين يداً).[٢]

يُلّح – رحمه الله – على هذا المعنى ويؤكده في مواضع عديدة من رسائل النور فيقول في (صيقل الإسلام) (إذ أنّ ثلاث ألفات هكذا [١١١] تصبح مائة وإحدى عشرة، فإنه بالإخلاص والتساند الحقيقي يستطيع ثلاثة أشخاص أن يفيدوا أمتهم فائدة مائة شخص ويخبرنا التاريخ بحوادث كثيرة أن عشرة رجال يمكنهم أن يقوموا بما يقوم به ألف شخص بالإخلاص والتساند الحقيقي).[٣]

ويقرر الأستاذ النورسي أنّه لا حياة دون اتحاد وتعاون مستنداً في ذلك بالقرآن الكريم إذ يقول رحمه الله (إنّ الحياة نتيجة الوحدة والاتحاد، فإذا ذهب الاتحاد المندمج الممتزج، فالحياة المعنوية تذهب أيضاً أدراج الرياح. فالآية الكريمة ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦) تشير إلى أن التساند والترابط إذا اختل تفقد الجماعة مذاقها).[٤]

وينتهي إلى أن التعاون بين خُدّام الإيمان مدعاة للافتخار وشكر الله (إنّ الذين يحملون على أكتافهم أعباء خدمة الإيمان والقرآن والتي هي بمثابة خزينة الحق والحقيقة العظيمة الرفيعة يفتخرون كلما انضم إليهم أكتاف قوية متعاونة معهم، فيشكرون ربهم).[٥]

---

(١) النورسي، كليات رسائل النور، اللمعات . جـ٣ ص٢٤٣

(٢) المرجع نفسه، اللمعات . جـ٣ ص٢٤٣

(٣) المرجع نفسه، صيقل الإسلام . جـ٨ ص٥١٥، وأنظر أيضاً الملاحق . (فقه دعوة النور) جـ٧ ص٥٩

(٤) النورسي، كليات رسائل النور، الملاحق . جـ٧ ص٥٨

(٥) المرجع نفسه . جـ٧ ص٥٩

نبذ الخصومة وإصلاح ذات البين :-

إنّ الجماعة المسلمة حقاً، هي التي تقوم على عواطف الحب المشترك والود الشائع، والتعاون المتبادل، والمجاملة الرقيقة، لا مكان فيها للفردية المتسلطة، بل هي كما وصف القرآن ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠).

إن الخصومة كثيراً ما تطيش بألباب ذويها، فتتدلى بهم إلى اقتراف الصغائر المسقطة للمروءة، والكبائر الموجبة للعنة، وقد يذهب بها الحقد إلى التخيل وافتراض الأكاذيب، وذلك كله مما يسخطه الإسلام ويحاذر وقوعه ويرى منعه أفضل القربات[١] فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة. قالوا: بلى قال: إصلاح ذات البين، فإنّ فساد ذات البين هو الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين).[٢]

قال صاحب التحفة (البين لفظ يقتضي الافتراق والقطع والمباعدة أين ما وقع، قال تعالى ﴿فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ﴾ (الأنفال:١) أي في حالة فراقكم وبعدكم.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم (هي الحالقة) فهذا مثل ضربه في استئصال الحال كما يستأصل الحلاق الشعر ذلك لأن كل ذنب وفساد يمكن صلاحه، ويتيسر استدراكه إلا افتراق الجماعة، وذهاب الاتفاق وتباين الأخلاق، فلذلك صار صلاح هذا خيراً من كل عبادة).[٣]

وقد بين الله سبحانه وتعالى مصير أهل الاتفاق ومصير أهل الفرقة والاختلاف بقوله تعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (آل عمران : ١٠٦-١٠٧). قال ابن عباس: (تسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف، وتبيض وجوه أهل الاجتماع والائتلاف).[٤]

---

(١) محمد الغزالي، خلق المسلم . ص٩١

(٢) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الرقائق والورع . جـ٢ ص٣٠٧ رقم (٢٠٣٧)

(٣) أبو العلاء محمد المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م . جـ٩ ص٢٣١

(٤) أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٦م. جـ٢ ص٩٢

فالنكير الشديد في القرآن والسنة جاء على الفرقة والتنازع والخلاف المؤدي إلى التناحر والتدابر والتكفير والاستنصار على المؤمنين بغير المؤمنين، لما يؤدي إليه ذلك من هدم كيان الأمة وتطويعه لأعدائه . فقال تعالى ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران: ١٠٣). وقال ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦). أي (وتذهب قوتكم وبأسكم فتضعفوا ويدخلكم الوهن والخلل).[١]

لذلك فالنورسي – رحمه الله – يحذّر في رسائل النور من الفرقة ويدعو إلى التعاون المثمر فيقول على سبيل المثال (وطريق النجاة من هذا الواقع الباطل الأليم، والتخلص من هذا المرض الفتاك، مرض الاختلاف الذي ألمّ بأهل الحق هو اتخاذ النهي الإلهي في الآية الكريمة ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦) واتخاذ الأمر الرباني في الآية الكريمة: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٢) دستورين للعمل في الحياة الاجتماعية ... ثم العلم بمدى ما يسببه الاختلاف من ضرر بليغ في الإسلام والمسلمين وبمدى ما ييسر السبيل أمام أهل الضلالة ليبسطوا أيديهم على أهل الحق ... ثم الالتحاق بقافلة الإيمان التي تنشد الحق والانخراط في صفوفها بتضحية وفداء...).[٢]

ويضيف قائلاً (فيا أهل الحق .. ويا أهل الشريعة والحقيقة والطريقة .. امتثلوا بما تأمركم به مئات الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة من التآخي والتحابب والتعاون، واستمسكوا بكل مشاعركم بعرى الاتفاق والوفاق مع إخوانكم في الدين ونهج الحق المبين ... واحذروا دائماً من الوقوع في شباك الاختلاف).[٣]

ويؤكد رحمه الله على (أن الاتفاق مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي وأحد منابع العزة الإسلامية).[٤]

وفي (الشعاعات) يؤكد النورسي رحمه الله أن السر في اهتمامه بتساند وتعاون طلاب النور هو تقوية إيمان عوام المؤمنين حتى لا تضعف قواهم المعنوية ويلتحقوا

---

(١) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩٩٨م. جـ١ ص٧٥

(٢) النورسي، كليات رسائل النور، اللمعات . جـ٣ ص٢٣٤

(٣) المرجع نفسه، اللمعات . جـ٣ ص٢٣٥

(٤) المرجع نفسه، اللمعات . جـ٣ ص٢٢٩

بأهل الضلال. يقول رحمه الله (إخوتي الأعزاء الأوفياء إن سبب اهتمامي البالغ بتساندكم وترابطكم، لا ينحصر في منافعه التي تكسب رسائل النور وتمسها، وإنما لعوام المؤمنين ممن ليسوا ضمن الإيمان التحقيقي . فهم أحوج ما يكونون إلى نقطة استناد وإلى حقيقة ثابتة عضت عليها جماعة بالنواجذ، فيرتكزون على تلك الحقيقة القاطعة للثبات تجاه تيارات الضلالة الرهيبة، حيث تكون لهم حجة قوية، ومرشداً ثبتاً، ... فمن يشاهد ترابطكم المتين وتساندكم القوي يطمئن قلبه، إذ يدرك أن هناك حقيقة راسخة لا تُضحى بشيء، ولا يغلبها شيء، ولا تحني رأسها لأهل الضلالة، فيقوى إيمانه، وتعمق قوته المعنوية وينجوا - بإذن الله - من الالتحاق بصفوف أهل السفاهة والدنيا).[١]

المحبة ضمان الحياة الاجتماعية :-

ولتحقيق التساند والتعاون والشفقة ودفع الخصومات كانت الدعوة في رسائل النور إلى المحبة تجاه المؤمنين يقول النورسي رحمه الله (إنّ أجدر شيء بالمحبة هو المحبة نفسها، وأجدر صفة بالخصومة هي الخصومة نفسها. أي أن صفة المحبة التي هي ضمان الحياة البشرية والتي تدفع إلى تحقيق السعادة هي أليق للمحبة، وأنّ صفة العداوة والبغضاء التي هي عامل تدمير الحياة الاجتماعية وهدمها هي أقبح صفة وأضرها وأجدر أن تُجتنب وتُنفَر منها ... إذا وجدت المحبة بحقيقتها في القلب فإن العداوة تنقلب إلى الرأفة والشفقة، فهذا هو الوضع تجاه أهل الإيمان)[٢] وينتهي إلى أن الود والمحبة والأخوة هي من طباع الإسلام وروابطه.[٣]

ويؤكد في موضع آخر من رسائل النور أن علاج الاختلاف هو (الحب في الله) إذ يقول (... وعلاج هذا المرض الوبيل - أي الاختلاف - ودواؤه هو: الافتخار بصحبة السالكين في منهج الحق، وربط عرى المحبة بينهم تطبيقاً للحديث الشريف (الحب في الله)[٤].[١]

---

(١) النورسي، كليات رسائل النور، الشعاعات . جـ٤ ص٣٧٨-٣٧٩

(٢) المرجع نفسه، صيقل الإسلام . جـ٨ ص٥٠٩

(٣) المرجع نفسه، جـ٨ ص٥١٠، انظر أيضاً النورسي، من كليات رسائل النور، الخطبة الشامية صرخة حياة في موات أمة . ترجمة إحسان الصالحي، شركة سوزلر . ص٦٣

(٤) فيه إشارة لقوله صلى الله عليه وسلم (ثلاث مَنْ كُنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحَبُّ إليه ممّا سواهما، وأن يُحِبَّ المرء لا يُحِبُّهُ إلا لله) البخاري، صحيح البخاري . كتاب الإيمان،

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحرص الحرص كله على أن تسود الأخوة مجتمع المؤمنين، ويرفرف الوئام والصفاء في حياتهم، فكان لا يفتأ يحضهم على التعاون والتساند وفعل المعروف، والتسامح والرفق والرحمة والشفقة، بأقواله وأفعاله ويولي هذا الجانب التربوي كثيراً من اهتمامه وعنايته.[٢]

فلا عجب أن يُولي النورسي رحمه الله جانب الشفقة والتعاون بين إخوة الإيمان كل هذا الاهتمام ويجعلها إحدى الدساتير الاجتماعية بل إحدى أبرز حقائق رسائل النور.

الخاتمة :-

من الدراسة السابقة نخلص إلى نتائج مهمة منها :-

- يؤكد الأستاذ النورسي أن الشفقة من الأسس الكفيلة بإنقاذ الحياة الاجتماعية من الفوضى والانقسام فهي سبيل التراحم والتساند والتعاون.

- حذّر النورسي رحمه الله طلاب النور من الجدال المؤدي للتنافر ودعاهم بأن يجعلوا من التعاون دستوراً للحياة.

- من الوسائل التي أشار إليها النورسي – في رسائل النور – والتي تحقق رابطة الشفقة والتعاون الصوم فإحساس الجوع يولّد الشفقة المفضية إلى الإحسان والتعاون.

- كذلك فإن الزكاة هي وسيلة للتعاون بين المسلمين والجسر الذي يغيث المسلم أخاه المسلم بالعبور عليه.

- وكذلك فإن المرض من الوسائل المعينة على جلب المحبة والرحمة والشفقة والتعاون لصاحبه تجاه المرضى وأهل البلايا.

- وسّع النورسي رحمه الله دائرة التعاون فلم يقصرها على التعاون المادي فقط بل دعا إلى التعاون الروحي والفكري والمعنوي.

- بالإضافة إلى الشفقة والرحمة العامة التي دعا إليها النورسي في رسائل النور فإنه لفت الأنظار إلى أنواع خاصة من الشفقة كشفقة الوالدين تجاه الأبناء وتقدير الأبناء لهذه

باب حلاوة الإيمان . جـ١ ص١٨

(١) النورسي، كليات رسائل النور، اللمعات . جـ٣ ص٢٣٢

(٢) محمد الهاشمي، شخصية المسلم . ص٢٣١

الشفقة. وكذلك دعا إلى الشفقة على أهل البلاء والمرضى والشيوخ وكذلك الشفقة بالحيوان والرأفة به، وفي كل ذلك كان – رحمه الله – متبعاً للقرآن والسُنّة.

– أكد النورسي أن التعارف والتعاون هو أساس العلاقات الاجتماعية بين الطوائف والقبائل والشعوب المختلفة.

– دعا النورسي في رسائل النور إخوة الإيمان إلى الاتحاد والتساند. ودعا إلى نبذ الخصومة وإصلاح ذات البين مؤكداً أن الاتفاق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي وأحد منابع العزة والقوة.

– لتحقيق التساند والتعاون والشفقة كانت الدعوة في رسائل النور إلى المحبة تجاه أهل الإيمان.

قائمة المراجع والمصادر :-

القرآن الكريم.

- **البخاري** : محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، عالم الكتب، بيروت، ط٥، ١٩٨٦م.
- **البهي** : محمد البهي، الإسلام في حياة المسلم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٩٩٥م.
- **الترمذي** : أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **الطبري** : محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٩٦٨م.
- **العوضي** : عادل العوضي وفائزة العوضي، جواهر الأخلاق والآداب الإسلامية، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
- **الغزالي** : محمد الغزالي، تأملات في الدين والحياة، دار التوفيق النموذجية، القاهرة، ط٤، ١٩٨٤م.
- **الغزالي**، خلق المسلم، دار الدعوة، الإسكندرية، ط٣، ١٩٩٠م.
- **قطب** : سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط١٧، ١٩٩٢م.
- **قليج** : صادق قليج، المؤتمر العالمي الرابع لبديع الزمان سعيد النورسي، ورقة بعنوان نظرة رسائل النور إلى البيئة، استانبول، ١٩٩٨م.
- **ابن كثير** : أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

- **الماوردي** : أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، أدب الدنيا والدين، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.
- **المباركفوري** : أبو العلاء محمد المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
- **مسلم** : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، دار الحديث، القاهرة (د.ت).
- **النورسي** : بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار (سوزلر) للنشر، استانبول. ج١ الكلمات.
- **النورسي**: كليات رسائل النور، ج٢ المكتوبات.
- **النورسي**: كليات رسائل النور، ج٣ اللمعات.
- **النورسي**: كليات رسائل النور، ج٤ الشعاعات.
- **النورسي**: كليات رسائل النور، ج٥ إشارات الإعجاز.
- **النورسي**: كليات رسائل النور، ج٦ المثنوي العربي النوري.
- **النورسي**: كليات رسائل النور، ج٧ الملاحق.
- **النورسي**: كليات رسائل النور، ج٨ صيقل الإسلام.
- **النورسي**: كليات رسائل النور، ج٩ سيرة ذاتية.
- **النورسي**، من كليات رسائل النور، الخطبة الشامية صرخة حياة في موات أمة، ترجمة إحسان الصالحي، شركة سوزلر للنشر.
- **النووي** : يحيى بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث، قطر، ط٢، ١٩٧٢م.
- **النيسابوري** : الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ .
- **الهاشمي** : محمد علي الهاشمي، شخصية المسلم، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ .
- **الهيثمي** : الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣.